اجتماعُ "العقبة".. ضبابيةُ النتائج ومعاكَسةُ الوقائع

تقدير موقف

في المحادثات الأُولى من نوعِها منذ أكثر من عِقد، رعَت الأردن اجتماعًا أمنيًّا عُقِدَ بين دولة الاحتلال والسلطة الفلسطينية بمشاركةٍ إقليميةٍ ودولية، في سياق الجهود المبذولة لوقف الإجراءات أحادية الجانب والتصعيد الأمني، للتوصل إلى فترة تهدئة وإجراءاتٍ لـ"بناء الثقة".

عُقِدَ الاجتماع كخطوةٍ لاحقةٍ للتفاهمات التي جرت مؤخَّرًا بين دولة الاحتلال والسلطة بوساطة أمريكية[1]، والتي أدت إلى تأجيل تصويت مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على القرار بشأن الاستيطان في الضفة المحتلة، وكان مسؤول فلسطيني كبير قد صرَّح في اليوم السابق لعقد الاجتماع بأن اجتماع العقبة يهدف إلى التوصل إلى تفاهماتٍ بشأن "فترة انتقالية"[2] تضمن وقف "إسرائيل" الإجراءات أحادية الجانب كافة، من استيطان وهدم واقتحامات، لمدة ستة أشهر يجري في خلالها التحضير للتهدئة والانتقال إلى "مسار أكثر اتساعًا".

وقد ضمَّ اللقاء وزيرَ الشؤون المدنية في السلطة الفلسطينية حسين الشيخ، إلى جانب رئيس جهاز المخابرات الفلسطينية ماجد فرج، ورئيس جهاز "الشاباك" "رونين بار"، ورئيس مجلس الأمن القومي في دولة الاحتلال "تساحي هنغبي"، ومنسق البيت الأبيض للشؤون الأمنية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا "بريت ماكغورك"، بحضور وزيرَي المخابرات الأردني والمصري.

مُخرَجات اللقاء

وفق البيان الرسمي، فإن مخرجات اللقاء تمثلت بتأكيد السلطة ودولة الاحتلال التزامهما باتفاقاتهما السابقة وبالعمل للتوصل إلى "سلام عادل ومستدام"، وضرورة الالتزام بـ"خفض التصعيد على الأرض ومنع المزيد من العنف"، واستعدادهما والتزامهما المشترك بالعمل فورًا على "وضع حد للتدابير أحادية الجانب" لمدة تتراوح بين ثلاثة وستة أشهر بما يشمل التزام "إسرائيل" بوقف مناقشة أي وحدات استيطانية جديدة لأربعة أشهر ووقف منح التصاريح لأية

[1] "باراك رافيد"، Palestinians and Israelis agree to take steps to de-escalate tensions، "آكسيوس"، 26 شباط/فبراير 2023، https://bit.ly/3Z0Wfg2.

[2] اجتماع العقبة.. توافق فلسطيني إسرائيلي على الالتزام بالاتفاقات السابقة ونتنياهو: الاستيطان سيتواصل في الضفة، الجزيرة نت، 26 شباط/فبراير 2023، https://bit.ly/3maSiab.

بؤر استيطانية لستة أشهر، وبأن يعمل الجانبان "بحسن نية لتحمُّل مسؤولياتهما وتعزيز الثقة المتبادلة"، وبإقرار أطراف القمة بأهمية الحفاظ على الوضع التاريخي القائم في الأماكن المقدسة في القدس والتشديد على وصاية الأردن على هذه الأماكن[3].

اتُّفِق أيضًا على "مواصَلة تدابير بناء وتعزيز الثقة المتبادلة لمعالَجة القضايا العالقة من خلال الحوار المباشر"، وعلى "مواصَلة الاجتماع وفق هذه الصيغة والحفاظ على الزخم الإيجابي وتوسيع هذا الاتفاق ليصبح عمليةً سياسيةً أوسَع نطاقًا تُفضِي إلى سلام عادل ومستدام"، واتُّفِق على الاجتماع مجددًا في شرم الشيخ بمصر في آذار/مارس القادم لمتابعة مفاوضات لقاء العقبة والبناء على مخرجاته.

وأشار مسؤول سياسي "إسرائيلي" إلى أن الاجتماع المقبِل سيُعقَد قبل شهر رمضان، برعاية مصرية، لبحث التقدم على المحور الأمني، لكن لا يُتَوقَّع اتخاذ قرارات أخرى بشأن التسوية في الأشهر المقبلة[4].

وقال مصدر "إسرائيلي" إن ممثلِي دولة الاحتلال شدَّدوا في اللقاء على أنه لن تُجرى تغييرات بشأن قرار شرعنة تسع بؤر استيطانية وبناء 9,500 وحدة استيطانية جديدة، وإنه اتُّفِق على "تشكيل لجنة مدنية مشترَكة تعمل على تعزيز التدابير الاقتصادية لبناء الثقة"[5].

وقال مصدر "إسرائيلي" رفيع المستوى، في إحاطة لوسائل إعلام عبرية، إنه اتُّفِق على تشكيل لجنة أمنية مشترَكة لبحث استئناف التنسيق الأمني، و"استعداد وقدرة" السلطة الفلسطينية على تحمُّل مسؤولياتها في "مواجهة الإرهاب"[6].

وذكَرَت وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا" أن المَطالب التي حملها وفد السلطة إلى لقاء العقبة "وقف الاعتداءات والإجراءات الإسرائيلية أحادية الجانب والالتزام بالاتفاقيات الموقَّعة، تمهيدًا للذهاب لأفق سياسي ينهي الاحتلال الإسرائيلي لأرض دولة فلسطين على حدود العام 1967 بعاصمتها القدس الشرقية، وفق قرارات الشرعية الدولية". وأشارت الوكالة إلى أن الوفد الفلسطيني طرح في خلال الاجتماع "جميع نقاط الموقف الفلسطيني التي اتُّفِق عليها في اجتماعات القيادة، وبما يشمل وقف الاستيطان وإرهاب المستوطنين والحفاظ على هوية وطابع مدينة القدس

[3] بيان مشترك بشأن اجتماع العقبة، موقع سفارة الولايات المتحدة في مصر، 26 شباط/فبراير 2023، https://bit.ly/3Y6DMNY.
[4] "يارون أفرام" و"يارون شنايدر"، ירדן טוענת: ישראל הסכימה להקפיא בנייה בהתנחלויות؛ סמוטריץ': "זה לא יקרה"، موقع القناة 12 العبرية، 26 شباط/فبراير 2023، https://bit.ly/3IBH2Ly.
[5] المرجع السابق.
[6] لقاء العقبة: توافق على خفض التصعيد وعدم المصادقة على مخططات استيطانية جديدة لـ4 أشهر، عرب 48، 26 شباط/فبراير 2023، https://bit.ly/3Z2iPVy.

والحفاظ على الوضع التاريخي في الأقصى، وإعادة فتح المؤسسات المغلقة في القدس وعقد الانتخابات فيها وفق الاتفاقيات". وأن الوفد طالَب بـ"وقف الاقتحامات للمدن والقرى والمخيمات وأعمال القتل ووقف هدم المنازل وتهجير الفلسطينيين، والالتزام باتفاق الخليل، وإطلاق سراح الدفعة الرابعة من أسرى ما قبل العام 1993، والأسرى الأطفال والنساء وكبار السن والمرضى، وعودة الأوضاع إلى ما قبل 28 أيلول/سبتمبر 2000، وعودة الأطقم الفلسطينية للجسور والمعابر الدولية"[7].

لا تغيير

بعد إعلان البيان الختامي للقمة، أكدت حكومة الاحتلال استمرار بناء المستوطنات في الضفة، وصرَّح "نتنياهو" بأنه "خلافًا للتغريدات"، سيستمر البناء وشرعنة البؤر الاستيطانية في الضفة وفق جدول التخطيط والبناء دون أي تغيير، مؤكدًا: "لا يوجد ولن يوجَد أي تجميد".

وقال رئيس مجلس الأمن القومي لدولة الاحتلال "تساحي هنغبي"، الذي ترأس الوفدَ "الإسرائيليَّ" في القمة، إنه "خلافًا للتقارير والتغريدات حول الاجتماع، لا تغيير في السياسة الإسرائيلية". وأضاف أنه في الأشهر المقبلة، ستشرعن دولة الاحتلال تسع بؤر استيطانية وستصادق على 9,500 وحدة استيطانية جديدة في الضفة. وشدد على أنه لا يوجَد تجميد للبناء أو تغيير في الوضع الراهن في القدس ولا توجَد قيود على نشاط جيش الاحتلال في الضفة.

مواقف الرعاة

عدَّت مصر والولايات المتحدة والأردن التفاهماتِ "تقدمًا إيجابيًّا نحو إعادة تفعيل العلاقات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي". وقال نائب رئيس الوزراء الأردني أيمن الصفدي إن اجتماع العقبة يُعَدُّ "أول انخراطٍ سياسيٍّ من نوعه منذ سنوات"[8]، وقد رحَّبت الولايات المتحدة باللقاء على لسان مستشار الأمن القومي للبيت الأبيض، "جيك سوليفان"، الذي شكر دور الأردن ومصر في الأسابيع الأخيرة "لضمان شروط نجاح" الاجتماع.

[7] وفا: وفد فلسطين للاجتماع الخماسي يقدم تقريرا للرئيس حول المداولات والموضوعات التي تم بحثها والنتائج التي تم التوصل إليها، وكالة الأنباء الفلسطينية "وفا"، 26 شباط/فبراير 2023، https://bit.ly/3KFMwr6.

[8] الصفدي: اجتماع العقبة هو أول انخراط سياسي من نوعه منذ سنوات، عمان نت، 27 شباط/فبراير 2023، https://bit.ly/3Y9t5do.

استنكارٌ فصائلي ورفضٌ شعبي

لاقت قمة العقبة رفضًا شعبيًّا فلسطينيًّا، ورفضت جميعُ الفصائل الفلسطينية القمةَ باستثناء "حركة فتح"، التي صرَّح المتحدثون بِاسمها بأن وفد السلطة إلى العقبة حمل مَطالب فلسطينية عادلة وناقش قضايا الأسرى والقدس والتوسع الاستيطاني وحماية الشعب الفلسطيني.

وعدَّت الفصائلُ الرافضةُ أن مشارَكة السلطة في الاجتماع "طعنة جديدة لتضحيات الشعب الفلسطيني وخيانة لتضحيات الشهداء"، وعدَّت الاجتماع "استكمالًا لمخططات التآمر على الشعب الفلسطيني وقضيته، ومحاولةً جديدةً لاستئصال مشروع المقاومة".

لم يقتصر الموقف الرافض على القوى والفصائل من خارج المنظمة، إذ عبَّر جزءٌ من فصائل منظمة التحرير الممثلة في اللجنة التنفيذية عن موقفٍ معارِضٍ للمشارَكة الفلسطينية في قمة العقبة، عادِّين أن الهدف الرئيس للاجتماع "التوصلُ لترتيبات أمنية جديدة، جوهرها وقف التصعيد وامتناع الجانبين عن "الأعمال الأحادية"، مما يعني فرض حلول أمنية على الفلسطينيين للتعايش مع الاحتلال، والقفز عن جوهر الصراع المتمثل بأولوية إنهاء الاحتلال"، وأن المشارَكة في اجتماع العقبة تشكل اختراقًا للموقف الفلسطيني الساري منذ سنوات، المتمثل بعدم الدخول في مفاوضات حول إعادة ترتيب العلاقة مع الاحتلال[9].

تصعيدٌ ميدانيٌّ كبير

الردُّ الأوضَح والأعلى صوتًا جاء من حوارة في نابلس، بعد أيام قليلة من وقوع مجزرة نابلس الأخيرة على يد قوات الاحتلال، وتزامنًا مع انعقاد القمة، إذ نفَّذ مقاوم فلسطينيٌّ عملية إطلاق نار ليخلِّف وراءه قتيلَين من المستوطنِين، في منطقةٍ تَشهد انتشارًا كثيفًا لجنود الاحتلال ومستوطنيه على مدار الساعة.

[9] الديمقراطية وحزب الشعب وفدا: نرفض مشاركة السلطة في قمة العقبة جملة وتفصيلا، مؤتمر صحفي، شبكة وطن الإعلامية، 26-2-2023، https://bit.ly/3kzdqGE.

وقد شنَّ المستوطنون هجومًا إرهابيًّا واسعًا استَهدَف قرى حوارة وبورين وعصيرة الشمالية بحمايةٍ من جيش الاحتلال، أدى إلى استشهاد فلسطيني وإصابة أكثر من مِائةٍ آخرِين[10]، إذ شنَّ المستوطنون أكثر من 320 اعتداءً على المواطنِين الفلسطينيّين ضمن محافظة نابلس ومحيطها[11].

فيما تمكنت خلايا المقاوَمة من تنفيذ عدة عمليات إطلاق نار في مناطق مختلفة من نابلس، فأصيبت مستوطنة بجروح بعد إطلاق مقاوِمين النار على مركبتها قرب بلدة قصرة جنوبي شرقي نابلس، وأفادت مصادر عبرية عن استهداف مركبة للمستوطنين بالرصاص قرب زعترة، وفي وقت لاحق فَتحَ مقاوِمون النار تجاه حاجز مستوطنة "شافي شمرون"، تزامنًا مع استهداف المستوطنين على جبل صبيح قرب بيتا بِصَليات كثيفة من الرصاص، إلى جانب سلسلة من عمليات إطلاق النار قرب أريحا أدت إلى مقتل مستوطن وتضرُّر عدة مركبات، ليرتفع عدد قتلى الاحتلال إلى أربعة عشر قتيلًا في أقل من شهرين منذ بداية العام الحالي، في مقابل ثلاثة وثلاثين قتيلًا على مدار شهور العام الماضي كلها.

إدانات "إسرائيلية"

في أعقاب بيان العقبة، صرَّح وزير المالية في دولة الاحتلال "بتسلئيل سموتريتش"، الذي يتولى حقيبةً في وزارة الدفاع، بأنه "لن يُجمَّد البناء الاستيطاني ولو ليوم واحد"، وأضاف أن جيش الاحتلال سيواصل العمل على "إحباط الإرهاب" في الضفة "دون أية قيود".

وأدان وزير الأمن القومي في دولة الاحتلال "إيتمار بن غفير" الاجتماع قائلًا: "إن ما حدث في الأردن، في حال حدث شيء يُذكَر، سيبقى هناك في الأردن".

وقد هاجم زعيم المعارضة "يائير لابيد" اللقاء، قائلًا: "من المستحيل لدولة إسرائيل أن ترسل وفدًا رسميًّا على أرفع مستوى إلى مؤتمر برعاية أمريكية وتتوصل إلى اتفاقيات، ثم يغرد وزراء كبار في الحكومة ضد أنفسهم. هذه ليست حكومة، هذه فوضى خطيرة".

[10] شهيد وإصابات وإحراق منازل.. المستوطنون يصعدون عدوانهم في الضفة، شبكة قدس الإخبارية، 26-2-2023، https://bit.ly/3KL87i8.
[11] عروبة: 320 اعتداء نفذها المستوطنون في نابلس، شبكة قدس الإخبارية، 27-2-2023، https://bit.ly/3YYJ4fD.

مدى "جدية" الاتفاق

شكَّك خبراء أمريكيون في نجاح مساعي التهدئة، خاصةً في ظل استكمال حكومة الاحتلال والمستوطنين ممارساتِهم الفاشيةَ في نابلس على وجه الخصوص، وقد نُقِل عن أحد المسؤولِين السابقِين في الحزب الديمقراطي الأمريكي قوله إن "واشنطن التي كانت تقول بعدم وجود شريك فلسطيني لتحقيق السلام، تواجِه اليوم عدم وجود شريك إسرائيلي".

وقد شكَّك كبير الباحثين في مؤسسة "كارنيغي" للسلام، "آرون ديفيد ميلر"، والذي كان مفاوِضًا في محادثات السلام في الشرق الأوسط، في وفاءِ الأطراف بالالتزامات الواردة في الاتفاق، قائلًا: "نأمل الوفاء بالالتزامات الواردة في بيان العقبة الصادر عن اجتماع اليوم، لكنني قلق"[12].

خلاصة

تعكس تصريحاتُ قادة الاحتلال، وفي مقدمتهم رئيس الوزراء "بنيامين نتنياهو" الذي يتبنَّى خط المشارَكة في لقاء العقبة، أن ما أعلِن في البيان الختامي الرسمي للِّقاء لا يعكس حقيقة ما جرى التوصل إليه، وأن البيان مجردُ إعلان "بروتوكولي" حول نجاح مساعي الحوار بين فريق السلطة والاحتلال برعاية أمريكية–مصرية–أردنية.

إذ إن الحديث عن لقاء آخَر يسبق حلول شهر رمضان في آذار/مارس، يَعكس دقةَ التقارير "الإسرائيلية" التي تتحدث عن أن هذه الفترة الفاصلة فترةُ "فحص جدية وقدرة" السلطة على ضبط الأوضاع الأمنية في المدن الفلسطينية خاصةً تلك التي تنشط فيها مجموعات المقاوَمة.

"فحصُ قدرة السلطة على إحباط العمليات" كان جوهرَ الرؤيةِ التي قدَّمها جهاز "الشاباك"، حسب صحيفة "يسرائيل هيوم" التي كشفت أن جهاز "الشاباك" أعرب منذ مدة أمام المستوى السياسي الرسمي عن اعتقاده وتقديراته بوجوب "فحص قدرة السلطة الفلسطينية على إحباط العمليات على ضوء تراجُعِ سيطرتها ميدانيًّا المتواصلِ منذ أكثر من سنة".

[12] تغريدة لـ"آرون ديفيد ميلر" منشورة على تويتر بتاريخ 27 شباط/فبراير 2023، https://bit.ly/3YkII8J.

إذ يشمل مشروع قدَّمه "الشاباك" أن تُحدَّد منطقة معيَّنة في إحدى المدن الخاضعة للسلطة كليًّا كموقع خاضع للأجهزة الفلسطينية، وفي حال ظهرت فيه "خلايا إرهابية" ستُطلَب من الجانب الفلسطيني معالَجتُها وإلا "سيحلُّ الجيش الإسرائيلي المشكلة"، وإذا نجحت هذه التجربة ستحصل السلطة على مسؤولية عن مناطق أخرى في المنطقة (أ).

الشكل المطروح على السلطة الفلسطينية لضبط السيطرة الأمنية وتحقيق مطالبها تتمثل بالتزامها بتنفيذ خطة "فنزل" الأمنية، التي قدَّمها "بلينكن" في خلال زيارته الأخيرة للمنطقة، والتي تهدف إلى إعادة سيطرة السلطة على جنين ونابلس، والتي تتضمن تدريب قوة أمنية فلسطينية تتولى مهمةَ المواجَهةِ مع مجموعات المقاوَمة.

يأتي اجتماع العقبة ضمن المساعي المحمومة لنزع فتيل التوترِ قبل شهر رمضان، الذي يتزامن هذا العام مع الأعياد اليهودية وما ستشهده من تنفيذ للخطط الصهيونية لاقتحام باحات الأقصى، التوترِ الذي يُخشَى أن يتدحرج لتصعيدٍ واسعِ النطاق أو لانتفاضةٍ شعبيةٍ ثالثة.

الوقائعُ على الأرض تُثبِتُ أن مُخرَجات قمة العقبة لن تفلح في نزع فتيل التوتر، وأن السلطة لن تستطيع أن تضطلع بدَورٍ أمنيٍّ أكثر فاعليةً وسط تصاعُد الرأي الشعبي الفلسطيني المؤيِّد للمقاوَمة وتوسُّع حالة المقاوَمة المسلَّحة وزيادة فعلها، مترافقًا مع تصاعُد سلوك الاحتلال العدواني المتمثل في جرائم جيش الاحتلال وميليشيات المستوطنِين، وما تَحمل الفترةُ القادمةُ من أجندةٍ حافلةٍ بالمحطات المتفجرة، ما يلتقي مع تصريح المبعوث الأمريكي السابق لعملية السلام في الشرق الأوسط "مارتن إنديك"، حين قال متشائمًا بخصوص لقاء العقبة: "من المفيد إشراك الأردن ومصر رسميًّا في هذه العملية، لكنني أخشى أن يكون الأوان قد فات"[13].

برنامج الإنتاج المعرفي

مركز عروبة للأبحاث والتفكير الاستراتيجي

28-2-2023م

[13] تغريدة لـ"مارتن إندك" منشورة على تويتر بتاريخ 26 شباط/ فبراير 2023، https://bit.ly/3EEsaKY.